﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تعالى فيهِمُ الْوَعِيدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾، وذكرَ ما ارْتكبوه من المضارِّ، أَتْبَعَهُ بالوعدِ، بما في الإعراضِ عنه من المنافع؛ لِيكونَ الكلامُ جَامِعًا بَيْنَ التَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا أَدْعَى إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْعُدُولِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿لَمَثُوبَةٞ﴾: أصلُ الكلمةِ: ثَوَبَ، وتَدورُ على معنى العَوْدِ والرُّجوعِ، ومنه: ثَابَ فلانٌ إلى دارِه؛ لِرجوعِه إلى حالتِه الأولى الّتي كانَ عليها، وَالْمَثَابَةُ: الْمَكَانُ يَثُوبُ إِلَيْهِ النَّاسُ، والثَّوَاب: ما يَرْجِعُ إلى الإنسانِ من جزاءِ أعمالِه، والثَّوابُ: يُقالُ في الخيرِ والشَّرِّ، لكنَّ الأكثرَ المُتعارفَ هو ما كان في الخيرِ، فإذا استُعمِلَ الثّوابُ أَو المثوبةُ في الشَّرِّ: كانَ استعارةً تَهكُّمِيَّةً، والمَثوبةُ في الآيةِ بمعنى: الجزاءِ والأجرِ على الإيمانِ والتَّقوى، بأَنواعِ الإحسانِ[2].

2) ﴿خَيۡرٞۚ﴾: يدورُ معنى الكلمةِ على الْعَطْفِ وَالْمَيْلِ، ثُمَّ يُحْمَلُ كلُّ ما يُتَصرَّفُ منه على هذا المعنى، وذهبَ بعضُ اللُّغويِّين إلى أنَّ الخيرَ: كلمةٌ جامعةٌ لِلمَرغوبِ فيه، كالعقلِ والعَدلِ والفَضلِ والشَّيءِ النَّافعِ، وضِدُّه: الشَّرُّ، والخيرُ والشَّرُّ يأتيانِ باعتبارِ كونِهما اسمين، مثلَ قولِه تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: 104]، وباعتبارِ كونِهما اسمَي تَفْضيلٍ على الوصْفيَّةِ؛ لِيدلَّ على التَّفاوتِ في الخيريَّة، وإِنْ كان كلاهما خيرًا، يُقال: هذا خيرٌ من ذاك، وأفضلُ[3].

(1) الرازيّ، التّفسير الكبير: 3/633، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 2/82.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (ثوب)، وينظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 1/537.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (خير).

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

لَو أنَّ هؤلاءِ -اليهودَ- الّذين يتعلَّمون السِّحْرَ، ويُؤثرونَه على ما أنزلَ اللّهُ، آمنوا باللّهِ وبالنَّبيِّ محمّدٍ ﷺ، وبالقرآنِ الّذي أُنزلَ عليه، واتَّقوا اللّه؛ بامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيه، لَكان جزاءُ اللّه إيّاهم، وثوابُه لهم، على إيمانِهم به، وتقواهم إيَّاه، خيرًا لَهم مِنَ السِّحرِ، وما اكتَسبوا به، ولو كانوا يَعلمون ما يَحصُل بالإيمان والتّقوى من الثّواب والجزاء عِلْمًا حقيقيًّا لآمنوا، لكنّهم لم يَنتفعوا بعلمِهم[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ أسلوبِ الشَّرطِ بـ (لو) الدَّاخلةِ عليها ﴿أَنَّ﴾:

أفادَ أسلوبُ الشَّرطِ بـ (لو) في قولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾: امْتناعَ حُصولِ المَشروط[2]، أي: امْتناعَ حُصولِ المَثوبةِ المَذكورةِ لهم؛ لأنّهم لم يُؤمنوا ولم يَتَّقُوا، فأفادَ الشَّرطُ حِرمانَهم مِن أيِّ خيرٍ مِن عندِ اللّهِ، ولو كان مَثوبةً قليلةً.

وأفادت ﴿أَنَّ﴾: التّوكيدَ[3]، فجاءت لإفادةِ تأكيدِ الشَّرطِ وتَقريرِه، ولمّا كانَ الشَّرطُ مُمْتَنعًا عليهم؛ لأنَّهم لم يَعملوا به، فدَلَّ على تأكيدِ أنّهم لم يُؤمنوا، ولم يَتَّقُوا، كما دَلَّ على تأكيدِ حُصولِ المَثوبة من عندِ اللّهِ، للّذين آمنوا باللّهِ واتَّقَوه.

نُكْتةُ الجمعِ بينَ: ﴿ءَامَنُواْ﴾ و﴿ٱتَّقَوْاْ﴾:

استُعمِلَ الإيمانُ لِفعلِ المأمورات، والتَّقوى لِتركِ المَنْهيّاتِ

لمّا كانَ اليهودُ قد تَركوا المأموراتِ، وفَعلوا المَنهيّاتِ، ناسبَ أنْ يَذكُرَ: ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾؛ ليَدُلَّ الإيمانُ على طلبِ فعلِ المأموراتِ، وهو الإيمانُ برسولِ اللّهِ، وما أُنزلَ عليه، واتِّصافُهم بالتَّقوى يَقتضي تَركَ المَنْهيَّاتِ، ومنها: نَبْذُهم كتابَ اللّهِ، واتِّباعُ ما تتلو الشَّياطينُ، وتعلّمُ السّحرِ.

بلاغةُ مَجيءِ الكلامِ على خلافِ مُقتضى الظّاهرِ:

الإيماءُ إلى مثوبةِ المؤمنين، بالتَّصريحِ بذمِّ الكافرين

الأصلُ في جوابِ (لو) أنْ يكونَ بالفِعلِ، فغَيّرَ سَبْكَ الكلامِ؛ لِتكونَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/458، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/538.
(2) البهاء السّبكّي، عروس الأفراح: 1/353.
(3) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 402.

الجملةُ الاسميَّةُ: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ المفيدةُ للثُّبوتِ جوابًا للشَّرطِ؛ لِتَدُلَّ على ثباتِ المَثوبةِ للَّذينَ آمنوا واتَّقَوا، واسْتقرارِها واسْتمرارِها، معَ الجزمِ بخَيْريَّتِها، فخَيريَّةُ المَثوبةِ لا تعلّقَ لها بإيمانِ اليهودِ وعدمِه، فدلَّ على ثباتِ المَثوبةِ، وثباتِ نسبةِ الخَيريَّةِ إليها، معَ الجزمِ بخيريَّتِها، كأنّه قيلَ: لَمَثُوبَةٌ دائمةٌ خَيْرٌ لثباتها واسْتمرارِها[1]، فجاءَ الكلامُ على خلافِ مُقتضَى الظَّاهرِ؛ لئلّا يَشُكَّ أحدٌ أنَّ أيَّ مَثوبةٍ من عندِ اللّهِ هي خيرٌ.

سببُ تنكيرِ ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾:

التَّنبيهُ على الكثيرِ بذكرِ القليلِ

أفادَ التَّنْكيرُ التَّقليلَ، والمعنى: قليلٌ مِن المَثوبةِ، أو شَيءٌ مِن الثَّوابِ خيرٌ لَهم[2]، فكيفَ وثوابُ اللّهِ كثيرٌ مُسْتَمِرٌّ؟ والقَصْدُ من التَّنْكيرِ: بيانُ أنَّ الثَّوابَ مِن عندِ اللّهِ، وإنْ قلَّ في ذاتِه، فهو خيرٌ لَهم.

بلاغةُ التَّعبيرِ في قولِه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾:

تعظيمُ المَثُوبَةِ القَلِيلَةِ وتَفْخيمُها لِأنَّها مِن عِندِ الله تَعالَى

اقْترانُ (مثوبة) بلامِ الابتداءِ[3]، فيه إشْعارٌ بعُلُوِّ المَثوبةِ، وثباتِها معَ قلّتِها، بسببِ التَّنكيرِ[4]، وعَدَلَ النَّظمُ الكريمُ عنِ الإضَافةِ؛ فلمْ يَقُلْ: (مثوبةُ اللّهِ خيرٌ)، وقالَ: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، فلو جاءَ بصيغةِ الإضافةِ: لَفاتَ المَقصودُ من تَنْكيرِ: (مثوبة)، وتعظيمِ وصفِها بأنّها من عندِ اللّهِ، مع الإشعارِ بأنَّها قليلةٌ، ومِنْ مُناسباتِ إيرادِ هذا الوصفِ: أنّه "سَوّى بينَ هذهِ المَثوبةِ ومَضمونِ الرِّسالةِ، في كونِهما من عندِ اللّهِ؛ تَشريفًا لهذهِ المَثوبةِ، وإلحاقًا لها بالنَّمَطِ العَلِيِّ، مِنْ علمِه وحكمتِه، ومَضَاءِ كلمتِه"[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/174، والآلوسّي، روح المعاني: 1/347.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/174، والرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/634.
(3) السّمين، البحر المحيط: 2/50.
(4) الحرالّيّ، تراث أبي الحسن الحرالّيّ: 1/244.
(5) الحرالّيّ، تراث أبي الحسن الحرالّيّ: 1/244.

نُكتةُ مجيءِ الصِّفةِ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾:

تعظيمُ ما كان من عندِ اللهِ وتفخيمُ شأنِه واجبٌ إيمانيٌّ

لـمّا كانَتْ: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ نَكرةً، مُفيدَةً التَّقليلَ، فقد يُزهَدُ فيها، ويُستَقَلُّ من شأنِها؛ فلذلك وَصَفَها بِأَنَّها مِن عندِ اللهِ؛ لإجْلالِها وَتَفْخيمِها وَتَعظيمِها، وَلِمُنَاسَبَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى لذَلِكَ[1]، ولاسيّما مَعَ اقترانِها بـ ﴿مِّنْ﴾ المُفيدةِ لابتداءِ مكانةِ المَثوبةِ، كما أنَّ الحُكمَ على المَثوبةِ بالخيريَّةِ راجِعٌ إلى وصفِها بأَنَّها مِنْ عندِ اللهِ، فَحُكمُ المُسنَدِ راجعٌ إلى المُسنَدِ إليه، بقَيدِ صِفتِه، فالقليلُ من عندِ اللهِ عظيمٌ وجليلٌ، ففي الآيةِ: حَثٌّ على أنْ لا نَستَقِلَّ ما كانَ خيرًا، ما دامَ من عندِ اللهِ تعالى.

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ التَّفضيلِ على معنى الصِّفةِ:

رُسُـوخُ صِفَـةِ الـخَـيْرِ وبـيـانُ اسـتـحـقـاقِـه العملَ

لـمّا كانَ ظاهرُ الكلامِ أنّ كلمةَ: ﴿خَيْرٌ﴾ جاءتْ في سِياقِ المُفاضلةِ؛ لِبيانِ أنّ المَثوبةَ مِنْ عندِ اللهِ أفضلُ مِنْ نبذِهم كتابَ اللهِ، وتعلّمِهم السّحرَ، دلّ على أنَّها اسمُ تَفْضيلٍ، وحَذَفَ المُفضَّلَ عليه، إجلالًا للمُفَضَّلِ مِنْ أنْ يُنسَبَ إليه[2]، وهذا يَقتضي إثباتَ الخَيريَّةِ للأفضلِ، وللمفضَّلِ عليه، وهذا الظَّاهرُ ليس مرادًا؛ فلا خيرَ في نَبْذِ كتابِ اللهِ، ولا في تَعلُّمِ السِّحرِ، فَدَلَّ على أنّ كلمةَ: ﴿خَيْرٌ﴾ استُعملَتْ لا بمعنى المُفاضلةِ، بل بمعنى: إثباتِ الخيرِ لِلمَثوبةِ المذكورةِ، ونفيها عن المقابلِ، ونُكتةُ مَجيءِ اسمِ التَّفضيلِ في غيرِ معنى المُفاضلةِ: الدّلالة على أنَّ اختيارَ الإيمانِ والتَّقوى هو خيرٌ بمعنى الصِّفةِ الرَّاسخةِ، التي تُقابِلُ الشَّرَّ، وللتَّنبيه على أنَّ هذا الخيرَ هو المستحقُّ للعملِ، وللمبالغةِ في بيانِ شأنِه وحالِه.

نُكتةُ تكريرِ الْجُمْلَةِ فِي الآيتَين:

تكرَّرَ نفيُ العلمِ في الآيةِ السَّابقةِ وفي هذه الآيةِ بقولِه: ﴿لَّوْ كَانُوا۟

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/537.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/347.

يَعْلَمُونَ﴾، والفرقُ في دلالة: ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في الآيتَين: أنَّهم لـمّا باعوا إيمانَهم بالسِّحرِ، الّذي يَضرُّهُم ولا يَنفعُهُم، اسْتَحقُّوا أنْ يَنفيَ عنهم العلمَ؛ تَوبيخًا لهم، وتَقبيحًا لأمرِ السِّحرِ، وتَنْفيرًا منه، ولِئَلّا يَتَوهّموا أنَّ السِّحرَ عِلْمٌ، فقد نفى عنهم العلمَ بتَعلّمِهمُ السِّحرَ، وأمّا هذهِ الآيةُ: فهي كالخاتمةِ لِمَا تقدّمَها من الآياتِ، إذْ تضَمّنَتْ خُلاصةَ جميعِ ما تقدَّمَ، مِن طَلبِ الإيمانِ بالرَّسولِ محمّدٍ ﷺ، وبالقرآنِ الّذي أُنزِل عليه، وفِعلِ المأموراتِ، وتَركِ المنهيّاتِ، فلمّا لـمْ يَقوموا بها، وزَهِدوا فيما عندَ اللّهِ، استَحقُّوا أنْ يَنفيَ عنهم العلمَ، تَحقيقًا وتَقريرًا.

لَمَّا انْتَفَتْ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ المقبولُ، نُفِيَ الْعِلْمُ عن صاحِبِه

وفي هذا إشعارٌ برُتبةِ العلمِ، الّذي يَتضَمّنُه القرآنُ الكريمُ، إذْ أَمَرَهُم بالإيمانِ بِهِ، وتَنبيهٌ إلى أنَّ القرآنَ هو العلمُ الّذي يَنبغي صَرفُ النَّظَرِ إليه.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَثوبة والجزاء:

الغالبُ اسْتعمالُ المثوبةِ في الخيرِ، فإذا استُعمِلَت في الشَّرِّ كانَ استعارةً تَهَكميَّةً، فتكونُ المَثوبةُ في مُقابلة أمرٍ، بالجزاءِ عليه بأنواعِ الإحسانِ، وأمّا الجزاءُ: فهو المُكافأةُ على الشَّيءِ في الخيرِ والشَّرِّ، فيَصدُقُ في الثّوابِ والعقابِ[1]، فَمن اسْتعمالِ الجزاءِ في الخيرِ قولُه تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: 60]، ومِن اسْتعمالِ الجزاءِ في الشَّرِّ، قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: 27]؛ فكلُّ مَثوبةٍ جزاءٌ، وليسَ كلُّ جزاءٍ مَثوبةً، فبينَهُما عمومٌ وخُصوصٌ مُطلَقٌ.

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (ثوب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»